هل الهايكو العربي ممكن؟ من أجل حقل هايكو عربي

عبد القادر الجموسي

شاعر وناقد من المغرب

يرى بعض المهتمين بشعر الهايكو أن الحديث عن هايكو عربي ضرب من الوهم.
برأيي أن لفظة "هايكو" اليوم أصبحت تعبر بشكل عام عن القصيدة القصيرة والمركزة. وتجاوزت مجرد الإحالة على جذرها الياباني. رغم أن الأصل يظل مرجعا وذاكرة وتراثا. الرباعيات والسوناتا تكتب بمختلف لغات الأرض. رغم اصولها الفارسية ورسوخها في العربية.
اما عن الهايكو العربي. نعم ، هناك هايكو عربي يبدع ويترجم بلغة الضاد. جربه وكتب به مبدعو القصيدة الحرة وقصيدة النثر منذ نصف قرن أمثال عز الدين المناصرة وعبد الكريم كاصد ومحمد الأسعد ومحمد بنيس وشاكر مطلق وامجد ناصر وإدريس عيسى وعاشور الطويبي وصولا الى محمود الرجبي وسامح درويش واحمد لوغليمي وبشرى البستاني ورئام الشمالي وهدى بنادي وهدى حاجي وغيرهم كثير من شعراء الجيل الجديد.
واليوم يشكل الهايكو موجة عمق حقيقية في الشعرية العربية يجربه ويكتب به ويترجمه وينظر له عشرات من المبدعين العرب على ربوع العالم العربي. والنقاش جاد بين ممارسيه حول جمالياته وبلاغته.هذه الحيوية في الفكر والخيال والتجريب يمنحها شعر الهايكو في وقت تشهد فيه القصيدة المعاصرة حالة من الانحسار الدال على أزمة حقيقة.
ثمة نقطة جديرة بالنظر، وهي التي تتعلق بالفروق الدقيقة بين الومضة والتوقيعة والابغرامة وقصيدة النثر القصيرة والشذرة. لقد سبق للشاعر والباحث شاكر لعيبي أن تناول بالدرس علاقة الهايكو بالشذرة بدقة وعمق. كما تناول نقاد آخرون خصائص التوقيعة والومضة وقصيدة النثر القصيرة بمستويات من الدقة والعمق. ما نأمله هو تجميع هذه النظرات في عمل تركيبي مثلما فعل الشاعر نسيم سعداوي في محاولته لصوغ تعريف شامل وتسليط الضوء على مقاربات الشعراء العرب للهايكو. هنا تحديدا تكمن خطورة "الهايكو"، ليس بوصفه شعرا. وإنما باعتباره "تقنية شغب" تحرك أسئلة اللحظة التاريخية وتدفع في اتجاه اعادة النظر في مسلمات وعي جمالي مأزوم، وإعادة صوغ تعريفات الشعر صورة وبلاغة. بل وحتى مفهوم القصيدة نفسه. ان الهايكو بهذا المعنى هو سؤال وعي ثقافي وشعري في حالة مخاض وأزمة.

الاجدر ان يتم الإسهام جديا في اغناء الحوار حولها وتقديم إضافات نوعية للدفع باتجاه ولادة "حقل هايكو" عربي كما ان هناك "هايكو أمريكي" وهايكو فرنسي" "وهايكو ياباني" "وهايكو منغولي".

فالهايكو العربي يكتب يوميا بدرجات متفاوتة من الدقة والجمال والإبداعية كما في بقية اللغات. ولا يحتاج الى شهادة ميلاد جديدة. المهم الآن هو تجويد الإبداع وترسيخ تقاليد للكتابة المرحة والعميقة. ان قصيدة ضفدعة باشو تجمع هذه الثنائية بامتياز: البحيرة والضفدعة؛ العمق التأملي ورشاقة الروح المرحة.

بخلاصة، الهايكو هو أكثر من فضاء افتراضي للتجريب. فهو أولا "قصيدة" لها مرجعيتها الشرقية المغايرة. لكن بالنسبة لنا نحن العرب، في هذه اللحظة التاريخية، يشكل الهايكو "موجة عمق" قيد التبلور من أمشاج جهود جيل جديد من الشعراء والشاعرات. وهو أيضا "تقنية شغب" تكشف عمق الأزمة، أزمة وعي شعري على حافة المنعطف، كما تثير الأسئلة الحارقة على بلاغتنا الشعرية وجمالياتها بما يكفل لنا حقنا في دهشة الشعر ولذته.

إن الأفق الذي يسبر فيه كل هذا المخاض هو تشكيل "حقل هايكو" ،بالمعنى الذي وضعه الناقد بيير بورديو للحقل الأدبي، كمجال جديد للابداع يحظى بمكانته اللائقة ضمن الأجناس الإبداعية ذات الوضع الاعتباري في المجتمع، ويكون له سهمه وحصته في الرأسمال الرمزي للمجتمع وتداوليات ثقافته. أي أن يصبح مصدر الهام طبيعي لمخيلة الأجيال الصاعدة.